

قصة نبي الله زكريا والعبر المستفادة منها

* أ.د/ أحمد بن محمد الشقاوي

ABSTRACT:

Prophet Zakaria peace be upon him in the Koran story full of wonders and miracles, replete with lessons and sermons, has been plagued by deprivation of the boy a long time, then were guaranteed to Mary tender key, he called his Lord prayers confident, God grant him Yahya who collect recipes perfect, and learn from Zechariah great benefits and useful lessons. The research includes: definition Npiy God Zakariat, sponsorship of Mary, praying, responding to him, recipes Yahya peace be upon him.

.Keywords: story, Zechariah, Yahya, the lessons learned

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد فلا يزال القصص القرآني معيناً لا ينضب، وزاد لا ينفد، وعطاء يتجدد، منه نقتفي أخبار من غُبر، و نلتمس المواعظ والعبر، ونقتبس المثل، و نلتمس السبل، وصدق الله تعالى إذ يقول لَلَّذِي كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يوسف: ١١١.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1. أهمية دراسة القصص القرآني فهو كلام الحق جل وعلا.

2. استنباط الدروس والعبر من هذه القصة.

3. بيان عظمة القرآن الكريم وبلاغته وصدقته.

خطة البحث: يشتمل هذا البحث على مقدمة وستة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: التعريف بزكريا عليه السلام.

* الأستاذ بجامعة أهر مصر

المبحث الثاني: كفاية زكريا المريم عليهما السلام.

المبحث الثالث: سؤال زكريا عليه السلام الولد.

المبحث الرابع: عائلة زكريا عليه السلام.

المبحث الخامس: وفاة زكريا عليه السلام.

المبحث السادس: الدروس والعبر المستفادة من قصة زكريا عليه السلام.

والله أسأل أن يوفقنا لإتمام هذا البحث وينفعنا بهدي الأنبياء ويعيننا على التأسي بهم.

المبحث الأول: التعريف بزكريا عليه السلام.

المطلب الأول: اسمه ونسبه: هو نبي الله زكريا، أبو نبي الله يحيى عليهما السلام، من نبي إسرائيل، وينتسب لنبي الله يعقوب كما يفهم من قوله تعالى يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا مريم: ٦، وقوله تعالى وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ الأنعام: ٨٤-٨٥ وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق أنه من ذرية سليمان بن داود عليهما السلام.⁽¹⁾

وفي البدء والتاريخ: أنه من ولد داود وكان يعمل نجارا وكانت تحتها أخت مريم بنت عمران أم عيسى وكان يحيى وعيسى ابني خالة، وكفل زكريا مريم.⁽²⁾ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا"⁽³⁾.

المطلب الثاني: زمانه: عاش نبي الله زكريا عليه السلام في الزمان قبل ميلاد عيسى حيث عاصر ميلاد مريم وكفلها، واستجاب الله دعاءه ورزقه يحيى عليهما السلام. قال تعالى فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ آل عمران: ٣٧.

المطلب الثالث: قرابته لمريم وعيسى عليهما السلام: قيل هو زوج أختها وقيل زوج خالتها، قال ابن كثير: "وَأِنَّمَا الْمَحْفُوظُ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ فَمَرَزَتْ بِأَبْنِي الْخَالَةَ يَحْيَى وَعَيْسَى وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ فَجَاءَ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ، كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ فَإِنَّ أُمَّ يَحْيَى أَشْيَاغُ بِنْتُ عِمْرَانَ أُخْتُ مَرْيَمَ بِنْتُ عِمْرَانَ. وَقِيلَ بَلْ أَشْيَاغُ وَهِيَ امْرَأَةٌ زَكْرِيَّا أُمَّ يَحْيَى هِيَ أُخْتُ حَتَّةَ امْرَأَةِ عِمْرَانَ أُمَّ مَرْيَمَ فَيَكُونُ يَحْيَى ابْنَ خَالَةِ مَرْيَمَ فَاللَّهُ أَعْلَمُ." (4)

المبحث الثاني: كفالة زكريا لمريم عليهما السلام.

قال تعالى فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَ هَارِزٍ قَالًا يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَبْرُزُ قُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ آل عمران: ٣٧

تبدأ قصة زكريا عليه السلام كما في سورة آل عمران وهي سورة مدنية نزل صدرها بمناسبة قدوم وفد من نصارى نجران، وحوارهم مع النبي الذي دار محور ه حول المسيح، ويبدأ الحديث عن زكريا بهذا العمل العظيم الذي حرص على القيام به ووفق إليه، كفالة اليتيمة مريم، تلك الطفلة التي تقبلها المولى وأنتهنا نباتا حسنا، فكان كفالته لها نعمة من الله ورحمة (5)

كيف تمت تلك الكفالة؟ تم هذا الأمر بتوفيق من الله بعد أن تنافسا وتنازعا على كفالة مريم، كل يريد أن يرضى نفسه أن ينال هذا الشرف، فمريم بنت إمامهم ومعلمهم عمران الرجل الصالح الذي مات دون أن تكتحل عيناه برؤيتها، وحرصا على هذا الشرف ووفاء لمعلمهم وإمامهم كان تنافسهم وتسايقهم على كفالته، ولما لم تجتمع لهم كلمة ولم يتفق لهم رأى وطال جدالهم حول من يستأثر بهذه المكرمة: اتفقوا على أن يقتروا فيما بينهم. قال ابن عباس: اقترعوا فجزت الأقلام مع الجزية وعال قلم زكريا الجزية فكفلها زكريا (6).

قال ابن حجر (وعال قلم زكريا) أي ارتفع على الماء وفي إحدى الروايات وعلا، و (الجزية) بكسر الجيم والمعنى: أنهم اقتروا على كفالة مريم أيهم يكفلها فأخرج كل واحد منهم قلما وألقوها كلها في الماء فجزت أقلامهم الجميع مع الجزية إلى أسفل وارتفع قلم زكريا فأخذها. (7) وفاز زكريا بالقرعة وتولى كفالة مريم رضي

الله عنها قرئ: (وَكَفَّلَهَا) بالفاء المفتوحة المخففة على إسناد الفعل إلى زكريا: إخبار من الله بأنه هو الذي تولى كفالتها، بدليل قوله تعالى (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم) وقرئ بالتشديد (وكفَّلَهَا) أي: جعل الله زكريا لها كافلا، والقراءتان صحيحتان، لا تعارض بينهما في المعنى، فالمولى قد أكرم مريم رضي الله عنها بأن جعل زكريا لها كافلا، ولقد توجه زكريا وقصد كفالة مريم تقربا إلى الله ووفاء وعرفانا وبروا وإحسانا، وزكريا وإن كان قد أقبل على كفالتها، وأصاب سهمه فإن الذي هداه إلى ذلك ووفقه ويسر له ذلك الأمر هو الله⁽⁸⁾

كرامة لمريم رضي الله عنها:

قام نبي الله زكريا بكفالة مريم، وجعل مقامها في بيت المقدس، في موضع تخلو فيه للعبادة وهو المحراب⁽⁹⁾ ولا بد أن هذا المكان بمعزل عن الاختلاط بالرجال والظهور لهم، فهو خلوة لمريم تتعبد لربها بصفاء ذهن وإقبال قلب⁽¹⁰⁾. (وجد عندها رزقا) لم يحمله إليها، ولا هو مما يعهد في هذا الوقت من الزمن، وهو يعلم أنه لا يدخل عليها غيره، فهو القائم على كفالتها، حتى أثار ذلك الأمر دهشته وعجبه قال ابن كثير: "قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم: وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، وعن مجاهد قال (وجد عندها رزقا) أي علما، أو قال صحفا فيها علم والأول أصح، وفيه دلالة على كرامات الأولياء، وفي السنة لهذا نظائر كثيرة"¹¹ هذا الرزق كرامة من جملة الكرامات التي أظهرها الله لمريم تمهيدا وتهيئة للآية العجيبة التي تنتظرها موقف زكريا من هذه الكرامة: سأل زكريا مريم متعجبا من أين لك هذا؟ كيف وصل إليك قالت هو من عند الله، فعطائه ممدود، وفضله عظيم وخزائنه زاخرة كما قال وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ الطلاق: ٣، فالله سبحانه يعطي العباد من حيث لا يحتسبون، بدون تقدير منهم ولا تدبير، وفي الحديث (يمين الله مألأى لا يغيضها شيء، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه)⁽¹²⁾

المبحث الثالث: سؤال زكريا عليه السلام الولد.

دعاء زكريا: قال تعالى في سورة آل عمران: هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ

الدُّعَاءِ آلِ عِمْرَانَ: ٣٨

وفي سورة مريم ذَكَرَ رَحِمْتَ رَبَّنَا عَبْدُهُ زَكَرِيَّا ۝ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ

وَلِيًّا ۝ يَرْثُنِي وَيُرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا مريم: ٢-٦

وفي سورة الأنبياء وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ۙ وَأَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ: ٨٩

لقد أكرم المولى زكريا بكرامه لمريم تلك اليتيمة ذات المكانة العظيمة، وكانت تلك الكرامة التي حدثت لمريم سببا مباشرا في توجهه زكريا إلى الله ودعائه بأن يرزقه ذرية طيبة.

تحري الأوقات واغتنامها: (هنالك) أي في ذلك الوقت وفي نفس المكان، وزكريا يشهد هذه الكرامة، ويرى تلك العجيبة، في المحراب مكان العبادة والطاعة، والرحمات والبركات والنفحات، يتوجه زكريا بالدعاء راجيا من المولى أن يرزقه ذرية طيبة، معلقا رجاءه بقدره الله ورحمته ولطفه أن يرزقه الولد في غير حينه كما رأى الفاكهة في غير حينها قال القشيري "لما رأى كرامة الله سبحانه مع مريم ازداد يقينا على يقين ورجاء على رجاء فسأل الولد على كبر سنه، وإجابته إلى ذلك كانت نقضا للعادة" (13) لما رأى كرامة لمريم تدل على صلاحها وقربها من الله تمنى أن يكون له ولد صالح تقرُّ به عينه، وينشرح له صدره وجاء الطلب بلفظ الهبة: "لأن الهبة إحسان محض، ليس في مقابلة شيء وهو يناسب ما لا دخل فيه للوالد، لكبر سنه، ولالوالدة؛ لكونها عاقرا لا تلد" (14).

ومنح الولد مع اجتماع مواعده من كبر السن والعقم أمر خارق للعادة، مظهر لعظيم قدرة الله وجليل صنعه ولطيف إرادته لذلك كان التفسير بـ (لدى) التي هي أخص من (عند) لأن هبة الولد لزكريا مع كبر سنه وعقم زوجته فيه منحة وخصوصية من المولى القدير جل وعلا

قال الرازي: "لأن حصول الولد في العرف والعادة له أسباب مخصوصة، فلما طلب الولد مع فقدان تلك الأسباب كان المعنى: أريد منك إلهي أن تعزل الأسباب في هذه الواقعة، وأن تحدث هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسط شيء من الأسباب" (15)

والذرية الطيبة الولد الصالح الذي تطيب به النفس ويتهجد الفؤاد وتقر به العين، فيوافق ما يتمناه أبواه ويرجوانه له من الصلاح. "لما كان الباعث عليه ما شاهد من أمر مريم وخصوص كرامتها على الله، وامتلاء قلبه من شأنها لم يملك من نفسه إلا أن يسأل ربه أن يهبه مثلها كرامة ومكانة عند الله، ولذلك استجيب في عين ما سأل من الله، ووهب له يحيى وهو أشبه الأنبياء بعيسى، وأجمع الناس لما عند عيسى وأمه مريم الصديقة من صفات الكمال والكرامة" (16) {إنك سميع الدعاء}: قابله ومجيبه.

قال النبي المستجاب دُعَاؤُهُ... مَا كُنْتُ رَبِّي بِالْدُعَاءِ شَقِيئًا
هَبْ لِي بِفَضْلِكَ وَإِرْتَائِعِيئًا... وَاجْعَلْهُ يَا رَبَّ الْعِبَادِ رَضِيئًا
فَأَجَاب دُعَاؤَهُ وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ... بِفَتْأِهِ أَغْنَى عِبْدَهُ زَكْرِيَّا (17)

وفي سورة مريم قال تعالى في مستهل السورة عن دعاء زكريا كهيعص ○ ذَكَرْ زَكْرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيئًا ○ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيئًا ○ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ○ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيئًا ○ يَا زَكْرِيَّا أَنَا نَبُوءُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ○ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ○ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ○ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ○ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ○ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ○ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ○ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ○ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ○ وَبَرَّ أَبُو الْوَالِدِيهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ○ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ○ مريم: ١-١٥

{ ذكرر حمة ربك عبده زكريا: تذكير للنبي ولسائر المخاطبين برحمة الله بعبده ونبيه زكريا

فائدة: "تضمنت الآية الكريمة (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) العناصر الأساسية لموضوع سورة مريم، وهي: الرب، والعبد، ورحمة الرب للعبد وحاجة العبد للرب، وكمال الرب جل جلاله في غناه عن كل ما سواه وفي رحمته وإحسانه لعبيده، ولهذا سئرت آيات السورة تركز على الاسم الكريم الرحمن، الذي يدل على غاية الإحسان، وكمال العبد في تذلل له وعبادته لربه ومولاه، والأنبياء عليهم السلام هم أكثر الخلق عبادة وتذلل الله تعالى؛ فهم النموذج الإنساني الكامل للكمال البشري بما امتازوا به من كمال العبودية لله تعالى" (18)

الدعاء في الخفاء: {إذ نادى ربه نداء خفياً} : دعاء به خفية، ومن المعلوم أن إخفاء الدعاء أو الجهر به عند الله سواء فهو سبحانه لا يخفي عليه شيء، وللدعاء في السر مزية فهو أذعى للخشوع والخشوع والإخلاص، وأقرب للإجابة، يقول قتادة: إن الله يعلم القلب النقي، ويسمع الصوت الخفي (19) وفي الحديث أربعو على أنفسكم فإنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم (20).

التضرع والتذلل لله: {قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً} : ضعفت عظامي وخارت قواي، "فالعظم عماد البدن ودعم الجسد فإذا أصابه الضعف والرخاوة تداعى ما وراءه وتساقط قواه" (21)

(واشتعل الرأس شيباً): وشاب شعر الرأس كناية عن كبر سنه، فالشيب يسرى في الرأس وينتشر فيها، كما تسرى النار وتشتعل في الهشيم والمراد من هذا: "الإخبار عن الضعف والكبر ودلائله الظاهرة والباطنة" (22)

وفي هذا إشارة إلى ضعفه، و فقره إلى رحمة الله حسن الرجاء: {ولم أكن بدعائك ربك شقياً} : لم أعهد منك ربي إلا إجابتي في دعوتي فأنت رجائي وغايتي، وأنت قصدي ووجهتي، عودتني على الكرم والإحسان قال صاحب روح البيان: "ولم أكن بدعائي إياك خائباً في وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي، وهذا توصل منه بما سلف من الاستجابة عند كل دعوة إثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن، وضعف الحال، فإنه تعالى بعد ما عود عبده بالإجابة دهر أطويلاً لا يخيبه أبداً لا سيما عند الاضطرار وشدة الافتقار روى أن محتاجاً قال لبعضهم: أنا الذي أحسنت إلي وقت كذا، فقال: مرحبا بمن توصل بنا إلينا، وقضى حاجته... يقال: سعد بحاجته إذا ظفر بها، وشقي بها إذا خاب" (23).

إخلاص النية والحرص على الخير: يخبر زكريا عن أسباب طلبه للولد فقد وهن منه العظم وشاب الشعر وتقدم به العمر، وهو خائف من أن يموت دون وراثته، يرث عنه النبوة والصلاح قال الإمام القاسمي: " (وإني خفت الموالي من ورائي): أي الذين يلون أمر رهطي من بعد موتي، لعدم صلاحية أحد منهم لأن يخلفني في القيام بما كنت أقوم به، من الإرشاد ووعظ العباد، وحفظ آداب الدين والتمسك بهديه المتين" (24) } وكانت امرأتي عاقرا {": وفي الإخبار عنه بلفظ الماضي (وكان): إعلام بتقادم العهد في ذلك وغرض زكريا من هذا الكلام بيان استبعاد حصول الولد، فكان إيراده بلفظ الماضي أقوى" (25) في الدلالة، فهي لا تلد منذ شبابها، فكيف بها الآن؛ وقد بلغت من الكبر عتيا!

{فهب لي من لدنك وليا { هب لي من لدنك من يلي أمري، (يرثني ويرث من آل يعقوب): المقصود هنا ليس ميراث الملك أو المال، وإنما ميراث النبوة والحكمة، فالأنبياء لا يورثون دينارا ولا درهما، وإنما يورثون الحكمة والهدى والصلاح، والميراث يكون في المال أو في الملك أو في العلم والحكمة وفي النبوة والصلاح، والأول مستبعد لأنه لم يطلب الولد ليرث ماله فالأنبياء لا يورثون مالا وليس ميراث ملك لأن زكريا لم يكن ملكا وآل يعقوب لم يتوارثوا ملكا ويحيى لم يصبح ملكا ومن هنا فإن الميراث الحقيقي الذي سيرثه عن أبيه هو الصلاح والعلم والحكمة.

قال الراغب: " (ويرث من آل يعقوب) يعني وراثته النبوة والعلم والفضيلة دون المال، فالمال لا قدر له عند الأنبياء حتى يتنافسوا فيه، بل قلما يقتنون المال ويملكونه" (26)

سؤال الصلاح للولد: { واجعله رب رضى } مرضيا عندك في جميع أحواله قال ابن كثير: " مرضيا عندك وعند خلقك تحبه وتحببه إلى خلقك في دينه وخلقته" (27) ، كما قال في ختام السورة -سورة مريم- الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا مريم: ٩٦ أي سيجعل لهم في قلوب العباد محبة ومودة.

قال الماوردي " فيها وجهان: أحدهما - حيا في الدنيا مع الأبرار، وهيبة عند الفجار، الثاني - يحبهم الله ويحبهم الناس ويحتمل ثالثا: أن يجعل ثناء حسنا" (28)

دعاء زكريا في سورة الأنبياء: قال تعالى وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ. الأنبياء: ٨٩ وهذا هو الموضوع الثالث الذي يتحدث فيه القرآن الكريم عن دعاء زكريا، وسياق الآيات هنا في بيان رحمة الله بأنبيائه واستجابته لدعواتهم، ونلاحظ أن مضمون الدعاء في السور الثلاث واحد والهدف منه واحد، وإن تنوعت الأساليب، فإن تنوعها يكشف عن حقائق هذا الدعاء ومقاصده، ومن المرجح أن الدعاء تكرر من زكريا.

وفي موضع سورة الأنبياء يخبر الله تعالى في سياق إنعامه على أنبيائه واستجابته لدعائهم، كيف يطلب زكريا من المولى أن لا يتركه وحيداً ولا ولده؛ يقوم بورثة الصلاح والنبوة من بعده، قال تعالى وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ. الأنبياء: ٨٩: فالوارث الحقيقي هو الله سبحانه وهو الباقي بعد فناء خلقه. قال ابن كثير (وأنت خير الوارثين): "دعاء وثناء مناسب للمسألة" (29)

وقال الألوسي في معنى (وأنت خير الوارثين): "وفيه مدح له تعالى بالبقاء وإشارة إلى فناء من سواه من الأحياء، وفي ذلك استمطار لسحاب لطفه" (30)

استجابة الله تعالى لدعاء زكريا

1- قال تعالى في سورة آل عمران انْفَنَّا ذُرِّيَّتَهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ آل عمران: ٣٩

2- وقال في سورة مريم يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا مريم: ٧

3- وقال سبحانه في سورة الأنبياء فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ زُجْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا إِسْرَارٍ غُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَ نَارَ غَيَّا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ الأنبياء: ٩٠

1- في الموضوع الأول من سورة آل عمران يذكر المولى أن الملائكة نادى على زكريا وهو يصلى في المحراب ذاك المكان الطاهر المبارك، وبشرته ببشارة عظيمة بشرته بغلام يدعى يحيى يكون سيدها وحصورا ونبياً من الصالحين.

قال ابن كثير: "خاطبته الملائكة مشافهة خطاباً أسمعته، وهو قائم يصلي في محراب عبادته ومحل خلوته ومجلس مناجاته وصلاته"⁽³¹⁾. والتعبير بالفاء هنا يدل على التعقيب، المفيد لسرعة الجواب، ولقد اختلف المفسرون في المراد بالملائكة هنا: هل هم جمع منهم أم أن المراد جبريل؟

وظاهر النص: يفيد أن المنادي جمع من الملائكة، وقيل إن المنادي جبريل، ذكر ذلك ابن جرير في تفسيره عن ابن مسعود⁽³²⁾ وقال الألو سي معلقاً على هذا الرأي: "فالجمع هنا مجاز عن الواحد للتعظيم، أو يكون هذا من إسناد فعل البعض للكل، وقيل الجمع فيه مثل قولك: فلان يركب الخيل ويلبس الديباج، واعتراض بأن هذا إنما يصح إذا أريد واحد لا بعينه، وهاهنا أريد المعين فلعل ما تقدم أو لى بالإرادة وقيل الجمع على حاله والمنادي كان جملة من الملائكة"⁽³³⁾

والذي أراه في هذه المسألة أن المنادي جمع من الملائكة كما يفيد ظاهر النص؛ لأن الأصل هو الأخذ بظاهر النصوص واستعماله الحقيقي دون اللجوء إلى صرف الكلام عن الحقيقة إلى المجاز وفي نداء جمع من الملائكة مزيداً اعتناء وتكريم لزكريا، وتعظيم لتلك البشارة وللواهب جل وعلا.

{ أن الله يبشرك بيحيى } ذكر المبشر به وهو يحيى يدل على أنه ذكّر وعلى أن المولى قد اختار له هذا الاسم الطيب المبارك.

وفي سورة مريم: يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا مريم: ٧

وفي هذه الآية إشارة إلى أن المبشر به وهو يحيى سوف يولد ويكبر حتى يصير غلاماً، وفي قوله تعالى (لم نجعل له من قبل سمياً) ما يفيد أن هذا الاسم لم يسم به أحد قبل يحيى، فهو اسم بكر، وللإسم البكر الجميل وقعه في النفوس، وصداه في الآذان، واختيار هذا الاسم ليحيى نعمة وهبة من الله (ووهبنا له يحيى) فالمسمى والاسم هبة ونعمة من الله. أما عن سر التسمية بهذا الاسم، فيقول مقاتل: "لم يكن أحد من الناس فيما خلا يسمى يحيى،

وإنما سماه يحيى لأنه أحياه من بين شيخ كبير وعجوز عاقر."⁽³⁴⁾ وعن قتادة قال: أَحْيَاهُ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ.⁽³⁵⁾

{ مصدقا بكلمة من الله: { مؤمنا بعباسي، قيل إن يحيى هو أول من صدق بعباسي، وقيل مصدقا بكلمة من الله: أي مؤمنا بكتاب منه تعالى. (36)

لقد كانت ولادة يحيى من شيخ كبير وأم عجوز عاقرة تمهيدا الآية أعجب وهي ولادة عيسى من غير أب، مع القرب الزماني بين الحدثين المتعاقبين، حيث ولد يحيى وبعده عيسى عليهما السلام.

(وسيدا): كريما، شريفا، يسود الناس بفقهاه وعلمه وحلمه، وحكمته وهمته، وزهده وقوته في الحق (37)، ساد نفسه بأن حملها على طاعة الله وصرها عن معصيته، وساد قومه بما تحلى به من مكارم الأخلاق، ومن ساد نفسه ساد غيره.

(وحصورا): حصر نفسه أي حبسها ومنعها من الهمم الدنية (38)، وقيل هو الذي لا يأتي النساء لالعجزه عن ذلك، وإنما زهده وانشغاله بالطاعات والقربات (39).

ولا تعارض بين المعنيين، وإن كان الأول أولى، لأن الزواج سنة الأنبياء عليهم السلام.

وسياق الكلام يدل على البشارات التي ساقتها الملائكة لزكريا لتدخل على قلبه السرور، والحضور صفة مدح وكمال لصفة ذم ونقصان.

{ ونبيانا الصالحين: جمع عليه السلام بين النبوة والصالح، فالأنبياء هم أشد الناس صلاحا واستقامة على منحه الله (40)، والصالح صفة ملازمة لهم قبل النبوة، لكن النبوة تزيدهم صلاحا على صلاح.

2- وفي الموضع الثاني من سورة مريم يأتي الجواب من قبل الله يَا زَكْرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا مريم: ٧: لم نجعل له شبيها من أهل عصره في أحواله وصفاته، أو لم نجعل له من قبل من يشار كه في هذا الاسم.

قال الزمخشري: "لم يسم أحد يحيى قبله، وهذا شاهد على أن الأسمي السنع (41) جديرة بالأثرة، وإياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها أنه وأنوه (42) وأنزه عن النبز (43) وقيل (لم نجعل له من قبل سميا) مثيلا وشبيها كقول في نفس السورة.

وإنما قيل للمثل سمي لأن كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم الممثل والشبيه والنظير، فكل واحد منهما سمي لصاحبه قالوا لم يكن له مثل في أنه لم يعص ولم يهجم بمعصية قط، وأنه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر، وأنه كان حصورا⁽⁴⁴⁾

3- وفي الموضوع الثالث في سورة الأنبياء فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونََنَا رَبَّاءَ وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ لَأَنْبِيَاءَ: ٩٠

فقد استجاب المولى لزكريا وأصلح زوجته للحمل والولادة، وأثنى سبحانه على زكريا ويحيى وامرأة زكريا بأنهم (كانوا يسارعون في الخيرات) أي يبادرون إلى فعل الطاعات، (ويدعوننا رهباء ورهبا) يجمعون بين الرغبة والرغبة، بين الخوف والرجاء، وهذه حال المؤمن (وكانوا لنا خاشعين) يقلوبهم وأبدانهم خاشعين لربهم، ضارعين له.

موقف زكريا من هذه البشارة: قال تعالى في سورة آل عمران قَالَ رَبِّ أُنَىٰ يَكُونُ لِي غَلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ آل عمران: ٤٠

وقال تعالى في سورة مريم قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۗ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۗ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا مريم: ٨-١١

دعا زكريا ربه أن يرزقه الولد فاستجاب المولى لدعائه، وجاءته الملائكة تبشره بغلام يرث النبوة والصلاح عنه ولقد كانت الاستجابة مفاجأة لزكريا، فقال مقالته متعجبا من هذه البشارة، ومتسانلا عن كيفية تحققها ووقوعها وقد بلغ من الكبر مبلغا؟

وتساؤل زكريا عن كيفية وقوع هذه البشارة هل سيعود إلى شبابه هو وزوجته؟ أم سيعود له شبابه ويتزوج بامرأة أخرى تكون ولودا، أم كيف تتم هذه البشارة العجيبة

قال الماوردي " ولم يقل ذلك عن شك بعد الوحي ولكن على وجه الاستخبار: أتعيدنا شبابين؟ أو ترزقنا الولد شيخين؟" (45)

وفي سورة مريم قوله تعالى (عتيا): العتي هو النهاية في الكبر واليبس، (ومن الكبر عتيا) السن الذي تعتو فيه العظام والمفاصل، أي تيبس وتجف وهو حال لا سبيل إلى إصلاحها ومداؤها. فاجتمع لديه ثلاثة موانع: كون امرأته عاقرا منذ شبابها، وكونه قد بلغ من الكبر عتيا، وكذلك زوجته، فلا سبيل لمداواة الشيخوخة.

جواب الحق جل وعلا عن تساؤل زكريا

1- قال تعالى في سورة آل عمران وأذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا آل عمران: ٤٠

2- وقال في سورة مريم تكاد السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا مريم: ٩

جاء الجواب الإلهي شافيا كافيا، فهذا العطاء العجيب وهذه الآية الخارقة مندرجة ضمن مشيئته جل وعلا، وهي أمر هين يسير أمام المولى القدير الذي نقلك من العدم إلى الوجود.

قال الألويسي في تفسيره " (قال كذلك الله يفعل ما يشاء): أي يفعل الله ما يشاء أن يفعله من الأفعال العجيبة الخارقة للعادة فعلا مثل ذلك الفعل العجيب، والصنع البديع الذي هو خلق الولد مع الحالة التي يستبعد معها الخلق بحسب العادة" (46)

وفي التعبير باسم الجلالة ما يفيد الهيبة والعظمة والروعة والإجلال

وفي التعبير بوصف الربوبية في موضع سورة مريم دلالة بالغة - الإظهار في موضوع الإضمار، وهو ما يسمى عند البلاغيين خلاف مقتضى الظاهر - لما في ذلك من إبراز جلال الربوبية في هذا المقام: فالرب هو الخالق المدبر المصرف لشئون خلقه، وكما خلق عبده زكريا من العدم فهو سبحانه قادر على أن يرزقه الولد مع كبر السن وعقم الزوجة، والرب هو القدير الذي لا يعجزه شيء ولا يمتنع عليه شيء، وقدرة المولى قدرة مطلقة لا تحدها حدود، ولا تقيدها قيود، وهذا الأمر يقع بتدبير الله تعالى لزكريا، فلا يحتاج لطبيب أو لدواء، والرب هو

الرحيم اللطيف والاستجابة لدعاء زكريا من لطف الله تعالى به ورحمته له، والربوبية من التربية والرعاية وهذا المعنى في هذا السياق واضح جلي.

وهذا الأمر الذي يتعجب منه زكريا ويقف أمامه مشدوها ومبهورا، هو أمر هين يسير على الله قال القرطبي "أي كما خلقك الله تعالى بعد العدم ولم تك شيئا موجودا فهو القادر على خلق يحيى وإيجاده"⁽⁴⁷⁾

زكريا يطلب آية من الله

قال تعالى في سورة آل عمران قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ. وقال في سورة مريم قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا مريم: ١٠-١١

طلب زكريا آية من المولى، علامة تدل على وقت حدوث الحمل، ليس شكاً في هذه البشارة وإنما شغفا ولهفة على معرفة وقت حدوث الحمل، فتلك أعظم لحظات الفرح والبهجة لمن طال انتظاره للولد، كذلك ليبادر إلى شكر الوهاب جل وعلا

قال الماوردي: "قوله: (قال رب اجعل لي آية) أي علامة لوقت الحمل ليتعجل السرور به"⁽⁴⁸⁾. وفي روح البيان "أي علامة تدل على تحقق المسئول أو وقوع الحبل، وإنما سألها لأن العلق⁽⁴⁹⁾ أمر خفي لا يوقف عليه، فأراد أن يطلع الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة منه حين حصولها بالشكر ولا يؤخره إلى أن يظهره ظهوراً معتاداً"⁽⁵⁰⁾

أجاب المولى زكريا فيما طلبه، فأعطاه الآية الدالة على وقوع الحمل وهذه الآية هي امتناعه عن الكلام لمدة ثلاثة أيام بلياليهن، فلا يتكلم إلا بالإشارة والإيماء. قال الزمخشري "قال علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح سوى الخلق، ما بك خرس ولا بكم"⁽⁵¹⁾

ومنع زكريا من الكلام لحكمة بليغة فللصمت فوائده العديدة، ففيه راحة النفس، وهدوء البال، وسكينة القلب، وانطلاق الفكر، وصفاء العقل، ومن هنا فمنع زكريا من الكلام من تمام نعمة الله عليه ورعايته له، كذلك إذا كان

الكلام نعمة عظيمة تدل على قدرة الله تعالى كما قال هل أتاك حديث صيف إبراهيم المكرم من الذاريات: ٢٣

كذلك امتناع السليم من الكلام آية عجيبة

ماذا فعل زكريا في هذه الأيام الثلاث؟ قال تعالى في سورة آل عمران قال لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس

ثلاثة أيام إلا رمزا أو ذكر ربك كثير أو سيح بالعشي والإبكار آل عمران: ٤١

وفي سورة مريم يقول فخرج على قوميه من المخراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا مريم: ١١

رغم منع زكريا من الكلام إلا أنه يواصل ذكر الله ويأمر الناس به حيث يشير إليهم بما يفهم منه دوام الذكر،

وزكريا نعم الله عليه بالصمت وفي الصمت فكرة وعبرة كما أنعم الله عليه بتوفيقه إلى الذكر فاجتمع له الذكر مع

الفكر، والذكر من أسنى المقامات ومن أجل القربات ومن أفضل الأعمال ومن أسمى الأحوال والذكر مطلوب

في كل حال حتى يصير المؤمن على صلة بالله، وزكريا يواصل ذكر الله حتى وهو ممنوع عن الكلام.⁽⁵²⁾ حيث

يحتبس لسانه عن سائر الكلام إلا الذكر، وتلك آية عجيبة، كما يواصل دعوة قومه إلى ذكر الله وحين يمتنع عن

الكلام فإن الإشارة توصل إلى المطلوب، أشار إليهم أن يداووا على التسبيح في جميع الأوقات.

المبحث الرابع: عائلة زكريا عليه السلام.

زكريا هو زوج أخت مريم، وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل يرجع نسبه إلى سليمان بن داود ومنه إلى إبراهيم،

فهو من نسل طاهر ومن أصل كريم وامرأته زوجة صالحة صابرة، ابتلاها المولى بالعقم، فأسلمت أمرها لله

ورضيت بقضاء الله، وعاشت مع زوجها حياة حافلة بالإقبال على الطاعات والمسارعة للخيرات، ولقد أتى

المولى في كتابه الكريم على زكريا وزوجته وولده يحيى، فقال سبحانه وتعالى: وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا

تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا إِسْرَافُونَ فِي

الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ۝ الأنبياء: ٨٩-٩٠.

ولقد استجاب الله دعاء زكريا، وأصلح له وزوجه، بأن جعلها صالحة للحمل والولادة بعد أن كانت عقيما، وبأن

زادها صلاحا على صلاح ورزقهما يحيى، الذي ورث النبوة والصلاح عن أبويه، وكان بارا بهما محسنا إليهما

ومن الناس من يقول بأنه كانت سيئة الخلق بذيئة فأصلحها الله تعالى وهذا يتعارض مع الآية السابقة التي وصفت زكريا وابنه يحيى وزوجه بالمسارعة للخيرات والمداومة على الدعاء راغبين راغبين، وملازمة الخشوع.

قال الرازي: " وفي تفسير قوله: (وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) : ثلاثة أقوال: أحدها: أصلحها للولادة بأن أزال عنها المانع بالعادة، وهذا أليق بالقصة. والثاني: أنه أصلحها في أخلاقها وقد كانت على طريقة من سوء الخلق وسلاطة اللسان تؤذيه وجعل ذلك من نعمه عليه. والثالث: أنه سبحانه جعلها مصلحة في الدين، فإن صلاحها في الدين من أكبر أعوانه في كونه داعياً إلى الله تعالى فكأنه عليه السلام سأل ربه المعونة على الدين والدنيا بالولد والأهل جميعاً. وهذا كأنه أقرب إلى الظاهر لأنه إذا قيل: أصلح الله فلاناً فالأظهر فيه ما يتصل بالدين" (53). وابنه نبي الله يحيى وهبه الله إياه على الكبر، ونشأ في بيت صلاح وطاعة، وقرأ التوراة وأخذ بأحكامها، وآتاه الله الحكمة والنبوة، ودعا إلى ربه حتى قتله اليهود. وقد وصفه الله تعالى بأوصاف تدل على فضله ومكانته. وصفه بأنه سيد وحضور، وهبه النبوة والصلاح قال تعالى عنه فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحضوراً ونبياً من الصالحين آل عمران: 39.

وقال تعالى في سورة مريم عنه يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً O وحناناً من لدنا وزكاة وكان ثقيلاً O وبزاً أبوالديه ولم يكن جباراً عصياً O وسلاماً عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً O مريم: 12-15.

أمر إلهي ليحيى أن يأخذ التوراة مأخذ الجد في العلم بها، وفي فهمها وفي العمل بها ودعوة الناس إلى الأخذ بها.

قال ابن كثير: "أي تعلم الكتاب بقوة أي بجد واجتهاد وحرص" (54)

(وآتيناه الحكم صبياً) : * قال ابن جرير " أعطاه الله الفهم لكتابه في حال صباه قبل بلوغه سن الرجال" (55) وقال ابن كثير: "أي الفهم والعلم والجد والعزم والإقبال على الخير والاجتهاد فيه وهو صغير حدث" (56) فالحكم أي هو العلم والفهم والجد والعزم، والمعرفة بالأحكام، وفهم التوراة والحكمة (وحناناً) عطف على الحكم أي وآتيناه الحكم وحناناً، والتنوين للتعظيم والتفخيم، والحنان: الرفق واللين والشوق والعطف، ولقد ملاً الله قلب يحيى بالحنان لأبويه ولغيرهما، فكان بر أبويه ورحيماً بالناس (وزكاة): " وآتاه الطهارة والعفة ونظافة

القلب والطبع، يواجه بها أدران القلوب وذنس النفوس فيطهرها ويزكيها"⁽⁵⁷⁾. (وكان تقيا) مطيعا لله، بمتثل ما أمره به وبيجنب ما نهى عنه، (وبرأه الديه): محافظا على البر لهما والإحسان إليهما، (ولم يكن جبارا عصيا): "ولم يكن متكبرا متعاليا عن قبول الحق والإذعان له، أو متطاولا على الخلق، وقيل الجبار هو الذي لا يرى لأحد عليه حقا"⁽⁵⁸⁾ (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا): "سلم الله تعالى على يحيى وحياه في المواطن التي يكون الإنسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقير إلى الله تعالى عظيم الحول"⁽⁵⁹⁾

المبحث الخامس: وفاة زكريا عليه السلام.

قتل بتحريض من قتلة يحيى،⁽⁶⁰⁾ وقتل اليهود للأنبيا من أشنع ما ارتكبه من جرائم قال تعالى ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّيلَةُ أَيَّنَ مَا تُكْفِرُوا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ وَحْدٌ لِيَوْمِ الدِّينِ وَمَنْ يَكْفُرْ فَإِنَّ اللَّهَ فَكِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ آل عمران: ١١٢ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ آل عمران: ١٨١.

المبحث السادس: الدروس والعبر المستفادة من قصة زكريا عليه السلام.

الترغيب في كفالة اليتيم: حرص الأبحار من بني إسرائيل على كفالة مريم وتنافسوا على ذلك تنافسا شريفا وصل بهم إلى حد الاقتراع لحرص كل واحد منهم على الأجر والثواب، فمريم بنت إمامهم ومعلمهم، وهي طفلة يتيمة تحتاج إلى يد حانية وإلى قلب عطف، يقودها إلى بر الأمان، ولقد حثنا الإسلام على كفالة اليتيم، وأمر بإصلاح شأنه والمحافظة على ماله، وتنميته، حتى يبلغ سن الرشد.

ثبوت كرامات الأولياء: فهذا الرزق الذي ساقه المولى لمريم بغير حساب وبهذا الأمر العجيب كرامة لها والكرامة هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد صالح غير مدع للرسالة⁽⁶¹⁾، وهي مأخوذة من قَبَلَهَا رُبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ وَأُنْبِتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ آل عمران: ٣٧.

وعقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بها، والتسليم لها إذا وقعت أو وصلت للسامع عن طريق الرواة الثقات قال الإمام الطحاوي رحمه الله " ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات في رواياتهم" (62)

مشروعية القرعة: من الأحكام المستفادة من القصة: مشروعية القرعة، قال تعالى ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يَخْتَصِمُونَ آل عمران: ٤٤؛ قال الإمام القرطبي رحمه الله: استدل بعض علمائنا بهذه الآية على إثبات القرعة وهي أصل في شرعنا لكل من أراد العدل في القسمة، وهي سنة عند جمهور الفقهاء في المستويين في الحجة ليعدل بينهم وتطمئن قلوبهم وترفع الظنة عن يتولى قسمتهم ولا يفضل أحد منهم على صاحبه إذا كان المقسوم من جنس واحد؛ إبتاعا للكتاب والسنة (63)

الربوبية: تنجلي لنا معاني الربوبية في هذه القصة العظيمة، إذ لا يكاد تخلو كل جملة من جمل الدعاء الذي رفعه زكريا من نداءه وخطابه لربه (رَبِّ) ففي سورة آل عمران تكررت ثلاث مرات (قال رَبِّ) وفي سورة مريم خمس مرات (رَبِّ)، وفي سورة الأنبياء مرة واحدة، وهذا يعني أنه ينطق بها في كل جملة ومع كل دعوة، وهذا يعني استحضاره لمعاني الربوبية حين يلهج لسانه بكلمة رَبِّ، الخلق والرزق والإمداد والعطاء واللفظ والرحمة والعناية والرعاية، والقدرة والعظمة، واستشعاره حين ينطقها بعظمة الله ومحبته وقربه من عباده.

حب الولد فطرة إنسانية: جبلت النفوس على حب الولد، فالولد هو قررة العيون، وثمره الفؤاد، وفلذة الأكباد، وبهجة النفوس وزينة الحياة قال تعالى الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً الكهف: ٤٦؛ والولد هبة من الله وإنعام منه سبحانه، قال تعالى لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الدُّكَّورَ ۝ أُوَيْرِزُّوهُمْ ذَكَرْنَا وَإِنَّا وَبِجَعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ الشورى: ٤٩-٥٠

وقال تعالى في سورة النحل وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ النحل: ٧٢. فالولد هبة وإنعام من الله، وحب الولد فطرة إنسانية ولقد جاء الإسلام بما يلائم هذه الفطرة، ويدعمها، فهذا أبو الأنبياء إبراهيم يدعو المولى فيقول رَبِّ

هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ الصافات: ١٠٠، ويستجيب المولى لدعوته ويصلح له في ذريته قال تعالى فَبَشِّرْهُ بِبُحُلَامٍ
حَلِيمٍ الصافات: ١٠١ وهو إسماعيل .

ولقد دعا لانس بن مالك بكثرة الولد فقال (اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيت) (64) وقد استجاب الله
دعوة نبيه وأكثر لانس المال والولد وبارك له فيما أعطاه .

ومن هنا: "فإن طلب الولد الصالح أمر مرغوب، فالولد الصالح رحمة من الله ونعمة، وبه يصلح البيت ويصلح
المجتمع وتستقيم الحياة .

فضل الدعاء: حوى دعاء زكريا آدابا كثيرة ومعاني سامية ففي قوله تعالى (إذ نادى ربه نداء خفيا) ما يدل على أن
أفضل الدعاء ما كان في الخفاء فإنه أقرب إلى الإخلاص وأدعى للخشوع وأرجى للقبول ونتعلم من دعاء زكريا:
تحرى الأوقات الشريفة الفاضلة المباركة قال تعالى (هنالك دعا زكريا ربه) فإنه لما رأى كرامة مريم ازداد
إيمانا على إيمان، وبقينا على يقين، فتوجه بالدعاء وهو في هذا المقام الأسنى والمكان الأسمى، في بيت الله
حيث تنزل الخيرات والبركات والرحمات، ومن هنا فإن بركة الوقت مع سمو المكان مع علو الحال والمقام
الذي يكون عليه الداعي كل هذه العوامل تكون أدعى إلى قبول الدعاء قال ابن القيم: "وأما قول زكريا ولم أكن
بدعائك رب شقيا فقد قيل إنه دعاء المسألة، والمعنى إنك عودتني إجابتك وإسعافك ولم تشقني بالرد
والحرمان فهو توسل إليه تعالى بما سلف من إجابته وإحسانه كما حكى أن رجلا سأل رجلا وقال: أنا الذي
أحسنيت إلي وقت كذا وكذا، فقال مرحبا بمن توسل إلينا بنا وقضي حاجته، وهذا ظاهر ههنا ويدل عليه أنه قدم
ذلك أمام طلبه الولد وجعله وسيلة إلى ربه فطلب منه أن يجاريه على عادته التي عودته من قضاء حوائجه إلى ما سأله. (65)
فضل المداومة على ذكر الله: والذكر من أفضل الأعمال ومن أجل القربات، ولقد جمعت هذه الآية بين فضيلة
الذكر والتفكير والدعاء. وزكريا غم احتباس لسانه عن كلام الناس إلا أن المولى قد أمره بالذكر قال رَبِّ اجْعَلْ
لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْزَرًا أَوْ دُكْرًا بِكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ آل عمران: ٤١.

قال القرطبي: "أمره الله تعالى ألا يترك الذكر في نفسه مع اعتقال لسانه، وقال محمد بن كعب القرظي: لو رُحِّص لأحد في ترك الذكر لرحص لزكريا لما حبس لسانه عن كلام الناس، ولرحص للمجاهد في سبيل الله حين ينشغل بقتال الأعداء ولكن الله أمر زكريا مع منعه من كلام الناس بمدامه الذكر وأمر المجاهدين بكثرة الذكر قال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ الأنفال: ٥٥" (66)

دروس في الدعوة: ويعلمنا زكريا درساً هاماً في الدعوة إلى الله، وهو أن لا يتخلى الدعاة عن دعوتهم أبداً، وأن يعيشوا بها ويتعايشوا معها في كل زمان ومكان وفي كل الظروف والأحوال، وأن لا يقصروا فيها مهما كانت العوائق والمشطات، وأن يجندوا لها كل ما يملكون من قدرات وطاقات وأوقات وملكات وإمكانيات، وأن لا يستقلوا أي عمل أو جهد دعويٍّ مهما كان يسيراً؛ فزكريا وهو ممنوع عن الكلام لكنه يعتمد في دعوته على الإشارة وهي بديل الكلام ووسيلة من وسائل التعبير -

قال تعالى فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمَخْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ مَسِّحُوا بِكُرَّةٍ وَعَشِيًّا مريم: ١١

فإذا حرم الدعاة من وسيلة دعوية فليبحثوا إلى غيرها، وإذا أغلق أمامهم باب فليطرقوا باباً آخر، فمن داوم قرع الأبواب ولج فعلى الدعاة إلى الله أن يتزودوا بالعزم واليقين كما يعلمنا الاهتمام والاشتغال بأمر الدعوة ومستقبلها، فقد همّ زكريا أن لا يجد من يراه أهلاً لحمل أمانة الدعوة والاضطلاع بمهامها، فخاف من تقصير محتمل ممن سيخلفونه.

على الآباء أن يتخيروا الأبناءهم أحسن الأسماء وأطيبها وأن يتجنبوا تسميتهم بالأسماء القبيحة المنكرة

في التربية والأخلاق:

- أثر الدعاء للأبناء في صلاحهم، فينبغي المبادرة إلى الدعاء.
- قوله تعالى في وصف يحيى (وسيدا): السيادة الحقيقية في طاعة الله وفي تقواه وفي العلم والعمل

- قوله تعالى (و حصورا) نستفيد من هذه الصفة التي وصف الله بها يحيى: أن حبس النفس عن الشهوات أمر محبوب ومطلب مرغوب، قال الإمام ابن تيمية المحبوس من حبس قلبه عن ربه والمأسور من أسر هو اه. (67).
- قوله في وصف يحيى يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا مريم: ١٢: حثَّ على المهمة العالية والعزيمة القوية في طلب العلم والعمل به.
- أهمية التربية الراشدة، منذ الصِّبا، ويحيى عليه السلام في صباه نموذج يحتذى وأسوة تترجى.
- تربية القلوب على الرحمة والعطف والحنان، والحنان والرفقة والرحمة عطاء من الله تعالى، ومن مكارم الأخلاق التي مدحها القرآن.
- الزكاة: الطهارة والنماء، وتركية الأنفس تطهيرها والنهوض بها، وهذا من مقاصد التربية الراشدة.
- غرس التقوى والمراقبة في نفوس الأبناء والتلاميذ.
- بر الوالدين من أجل وأعظم مكارم الأخلاق فهما أحق الناس بحسن الصحبة.
- تعهد الكفيل لمن يكفله بالتربية والنصح والإرشاد والمراقبة، والحرص على الخير.
- علو همة الأنبياء في الصلاح والخير.
- وينبغي على الداعي أن يكون موقنا بالإجابة، وحسن الظن بالله واثقا بما عند الله، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إن الله يقول أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني) (68)، وفي الحديث: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه) (69).
- العلم الحديث مع التقدم الهائل والإمكانات العظيمة في مجال الطب فإنهم إلى الآن لم يكتشف ولن يكتشف علاج لمرض الشيخوخة وما يعترى الطاعنين في السن من ضعف ووهن
- الله هو القادر وهو الفعال لما يريد وفي هذا ما يزيد المؤمن إيمانا وتسليما ويقينا.

الخاتمة

- جاء الحديث عن زكريا في أربع سور وفي كل مرة يفوح شذى ذكره في سجل من سجلات الشرف، ففي سورة آل عمران يبدأ الحديث عنه بذلك العمل الجليل الذي قام به خير قيام كفالته لليتيمة مريم بنت عمران وتعهده لها بالرعاية، بينما يأتي ذكره في سورة الأنعام منتظما في سلك الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام ومن نسل يعقوب وقد وصفهم ربهم بالهداية والصلاح وأنه تعالى قد اجتباهم وفضلهم على العالمين وجعلهم قدوة للمهتدين. وفي مستهل سورة مريم يأتي ذكره فما حدث له من كرامة نفحة من نفحات الرحمة الربانية التي شملته، ودعاؤه وتضرعه وإظهاره الافتقار لربه وأدبه جدير بأن يذكر في القرآن الكريم سجل المآثر. وفي سورة الأنبياء يأتي ذكره مرة في عقد الأنبياء، كيف استجاب الله لهم الدعاء وحقق الرجاء.
- لكل قصة من قصص القرآن مقاصدها التي تنتظم مع المقاصد العامة للقرآن الكريم الذي أنزله الله هداية للإنسانية.
- عالجت القصة موضوعا مهما عاطفة الأبوة، والمحبة الفطرية للولد، وأن العبد لا بد وأن يكون على رغبة ورجاء وأمل في إحسان الله وتفضله.
- في القصة دروس مهمة في الدعاء وفضائله وآدابه والذكر وأهميته.
- تكريم الله لأنبيائه في القرآن الكريم آخر الكتب، حيث حفل بمآثرهم وشمائلهم.
- لا تجد جانبا من الجوانب الإنسانية أو مشكلة من المشكلات الاجتماعية إلا وتجد في القصص القرآني بيانا شافيا وجوابا كافيا.

الهوامش

- 1- تاريخ دمشق لابن عساكر (48/19) وقصص الأنبياء لابن كثير (348/2).
- 2- البدء والتاريخ (116/3)، ويراجع المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (5/2).
- 3- أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الفضائل، باب: في فضائل زكريا عليه السلام، برقم: (2379) - (169)، وابن ماجه في السنن (727/2) حديث 2150، والإمام أحمد في مسنده (329/13) وابن حبان في صحيحه حديث (5142) من طرق عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد. يقول النووي: فِيهِ جَوَازُ الصَّنَائِعِ، وَأَنَّ التَّجَارَةَ لَا تُسْقِطُ الْمُزَوَّةَ، وَأَنَّهَا صُنْعَةٌ فَاضِلَةٌ. وَفِيهِ فَضِيلَةٌ لِرُكْرِيَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ كَانَ صَانِعًا يَأْكُلُ مِنْ كَنْبِهِ.
- شرح صحيح مسلم للنووي 135/15.
- 4- البداية والنهاية لابن كثير (65/2) في صحيح البخاري (53/5) حديث 3887 باب المغرّاج (ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قَبِيلٌ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قَبِيلٌ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَبِيلٌ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَبِيلٌ: مَرْحَبًا بِهِ فَبِعَمِّ الْمَجِيِّءِ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصَتْ إِذَابَيْحِي وَعَيْسَى، وَهُمَا ابْنَا النَّحَالَةِ).
- 5- قال الراغب: "الكفّالة: الضمان، تقول: تكفّلت بكذا، وكفّلت فلانا". المفردات في غريب القرآن (ص: 717). وفي جمهرة اللغة (969/2): "والكفيل: الذي يكفل بك، والجمع كفلاء، والاسم الكفالة. وكفّلت الرجل والمرأة، إذا تكفّلت مؤنثه". وفي الصحاح (1811/5): "والكافل: الذي يكفل إنساناً يعوله. ومنه قوله تعالى: (وكفّلتها زكرياً)".
- 6- رواه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات فتح الباري 345/5 و(عال) أي ارتفع على الماء
- 7- فتح الباري 347/5 باختصار، ويراجع ما نقله ابن جرير الطبري عن عكرمة في هذا المقام جامع البيان لابن جرير الطبري تحقيق أحمد شاكر 351/6
- 8- بالتخفيف قراءة: نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأبي جعفر ويعقوب، والباقرن بالتشديد. النشر في القراءات العشر (239/2).
- 9- قال صاحب المفردات ص 112: "سمي بذلك: لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى، وقيل سمي بذلك لكون حق الإنسان فيه أن يكون حريماً من أشغال الدنيا ومن توزع الخواطر - يعنى خلّباً من ذلك". وفي المصباح المنير 10/2 "000 ويقال محراب المصلى مأخوذ من المحاربة لأن المصلى يحارب الشيطان، ويحارب نفسه". أي يقوم على إصلاحها وتهذيبها وترتيبها.

10- بخلاف ما ذكره بعض المفسرين أنه صدر المسجد أي قبلته، وقد جرت عادة الناس أن يكتبوا هذه الآية في القبلة، وهذا مبني على فهم خاطئ للآية، إذ المحراب موضع العبادة وليس المراد به هاهنا قبلة المسجد إذ المرأة لا تبرز للرجال ولا تنصدر مجالسهم سيما المساجد فصوف النساء خلف الرجال درء للفتنة. الكشاف للزمخشري 358/1 والمفردات للراغب مادة حرب ص 112

11- تفسير القرآن العظيم لابن كثير 11/3

12- الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - كتاب الزكاة باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف - صحيح مسلم بشرح النووي 80/7 وعبر النبي ρ عن توالي النعم بسح اليمين، (سح) الماء سحا: سال من فوق إلى أسفل وسححته إذا أسلته والسح هو الصب الكثير المصباح المنير 122/2 مادة (س ح ح)

13- لطائف الإشارات للقسيري 251/1 طدار الكتاب العربي القاهرة

14- روح المعاني للألوسي 144/3 ويراجع أحكام القرآن للجصاص 11/2

15- مفاتيح الغيب للرازي 33/8

16- الميزان للطباطبائي 175/3 بتصريف

17- أورد الفيروز أبا دي هذه الأبيات ولم يذكر قائلها: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (93/6).

18- التوحيد والتنزيه في سورة مريم تأليف عبد الحميد محمود طهماز ص 11.

19- تفسير ابن كثير 10/3 وتفسير الماوردي 578/2

20- رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري - كتاب الذكر والدعاء والتوبة - باب استحباب خفض

الصوت بالذكر إلا في المواضع التي ورد الشرع فيها برفعه كالتلبية وغيرها

صحيح مسلم بشرح النووي 26، 25/17

21- روح المعاني للإمام الألوسي 59/16 ويراجع الكشاف للزمخشري 4/3 والنكت للماوردي 578/2

22- تفسير ابن كثير 111/3

23- روح البيان 314/5 بتصريف يسير، ويراجع الكشاف للزمخشري (4/3).

24- محاسن التأويل للقاسمي 111/11

25- مفاتيح الغيب للرازي 183/21

- 26- المفردات للراغب ص 519 مادة (ورث) ولقد اختار ابن كثير في تفسيره أن الميراث هنا هو ميراث النوبة والعلم مستدلا على ذلك بالعقل والنقل يراجع تفسير ابن كثير 111/3
- 27- المرجع السابق 111/3
- 28- النكت والعيون للماوردي 2/602، 603
- 29- تفسير ابن كثير 193/3
- 30- المرجع السابق 87/17
- 31- تفسير ابن كثير 1/360، 361
- 32- جامع البيان للطبري (361/6).
- 33- روح المعاني للإمام الألو سي 3/145
- 34- تفسير مقاتل بن سليمان (2/621)
- 35- جامع البيان (147/18).
- 36- الكشاف للزمخشري 1/360 وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 2/361 والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 4/76
- 37- يراجع في ذلك النكت والعيون للإمام الماوردي 1/313، 314 والكشاف للزمخشري 1/360 والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي 4/76، 77 ومفاتيح الغيب للإمام الرازي 8/36 وروح المعاني للإمام الألو سي 3/147
- 38- يراجع في ذلك تفسير ابن كثير 1/361، وروح البيان للبر وسوي 2/31
- 39- تفسير ابن كثير 1/361- ومفاتيح الغيب للرازي 8/36، 37 وروح المعاني للألو سي 3/148 ومحاسن التأويل للقاسمي 4/95
- 40- الكشاف للزمخشري 1/360 ويراجع روح المعاني للألو سي 3/148 ومحاسن التأويل للقاسمي 4/95
- 41- السنع: الحسننة- ورد في لسان العرب: السنع الجمال والحسن وامرأة سنيعة أي جميلة- اللسان 3/2118 مادة سن ع.
- 42- أنوه: أرفع وأعلى، ورد في لسان العرب: نوهناه الشيء، ينوهه ارتفع وعلا- اللسان 6/4588 مادة ن وه
- 43- الكشاف للزمخشري 3/5 والنبز بالتحريك اللقب، والنبز بالتسكين التلقب، واللمز- كما في اللسان 6/4324 مادة ن ب ز
- 44- الكشاف للزمخشري 3/5
- 45- النكت والعيون للماوردي 2/580

- 46- روح المعاني للإمام الألويسي 150/3
- 47- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 84/11
- 48- النكت والعيون للماوردي 314/1
- 49- من علفت المرأة إذا حبلت
- 50- روح البيان للبروسوي 31/2 ويراجع روح المعاني 150/3
- 51- الكشف للزمخشري 7/3
- 52- والعشي: من حين زوال الشمس إلى أن تغيب، وأصل العشي الظلمة ولذلك كان العشي ضعف البصر، فسمى ما بعد الزوال عشاء لا تصاله بالظلمة، وأما الإبهكار فمن حين طلوع الفجر إلى وقت الضحى، وأصله التعجيل، لأنه تعجيل الضياء النكت والعيون للماوردي 315/1
- 53- التفسير الكبير للرازي 183/22.
- 54- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير 113/3
- 55- جامع البيان (155/18).
- 56- تفسير القرآن العظيم لابن كثير 113/3 بتصريف
- 57- في ظلال القرآن 2304/4
- 58- روح المعاني للألويسي 73/16
- 59- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 88/11
- 60- تاريخ دمشق لابن عساكر (56/19). وقد جاء في إنجيل متى 35/23 وفي إنجيل لوقا 49/10 ذمٌ ووعيد لقاتليه.
- 61- يراجع: المختار من شرح البيهقوري على الجوهرة المسمى تحفة المرید علی جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم البيهقوري ص 183 ط 1401 هـ ص 183. ويراجع تبسيط العقائد الإسلامية للشيخ الداعية حسن أيوب ص 176. وعقيدة المؤمن للشيخ أبي بكر جابر الجزائري ص 150:142
- 62- شرح العقيدة الطحاوية: للإمام الطحاوي ص 495
- 63- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي 86/4 ويراجع أيضا ما ذكره عن القرعة في تفسير قوله تعالى عن يونس (فساهم فكان من المدحضين) سورة الصافات آية: 141/ تفسير القرطبي 126: 124/15 وقد عقد الإمام البخاري في صحيحه، -

- كتاب الشريعة - بابا بعنوان: هل يقرع في القسمة؟ وفي كتاب الشهادات عقد بابا بعنوان - باب القرعة في المشكلات، وقوله (إذ يلقون أعلامهم) كما يراجع أحكام القرآن لابن العربي (358/1).
- 64- رواه البخاري في صحيحه عن أنس كتاب الدعوات، باب الدعاء بكثرة المال مع البركة حديث 6378، 6379. ورواه الإمام مسلم في صحيحه عنه كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أنس بن مالك - صحيح مسلم حديث 2480-1928/4
- 65- التفسير القيم لابن القيم - (379/1)
- 66- الجامع لأحكام القرآن 82/4 بتصرف
- 67- الوابل الصيب من الكلم الطيب تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ص 44
- 68- صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء/باب فضل الذكر والدعاء وحسن الظن بالله تعالى - صحيح مسلم بشرح النووي 11/17
- 69- رواه الإمام الطبراني في كتاب الدعاء عن أبي هريرة 812/2 ط دار البشائر الإسلامية - تحقيق د محمد سعيد بن محمد البخاري ط سنة 1407 هـ سنة 1987 م ورواه الترمذي الدعوات باب 66 حديث 3479 وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه - سنن الترمذي 483/5 ورواه الحاكم في المستدرک 493/1 وقال هذا حديث مستقيم الإسناد تفرد به صالح المري وهو أحد الزهاد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بأن صالح المري متروك ورواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو 177/2 وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وأورده الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم 2766-164/3 وقال حديث حسن وأورده أيضا في الصحيحة برقم 594-143/2

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت 739هـ) - تحقيق شعيب الأرنؤوط - طمؤسسة الرسالة بيروت
2. أحكام القرآن، لابن العربي: أبي بكر محمد بن عبد الله (ت 543هـ)، دار الكتب العلمية بيروت 1408هـ
3. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد مصطفى العمادي الحنفي (ت 982هـ) طدار إحياء التراث العربي - بيروت
4. بدائع الفوائد لابن القيم: (ت 751هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
5. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين الفيروز آبادي محمد بن يعقوب ت 817هـ ط المكتبة العلمية.
6. تاج العروس من جواهر القاموس للإمام (محب الدين أبي الفضل السيد محمد المرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي نزيل مصر ت 1205هـ) ط المطبعة الخيرية بجمالة مصر 1306هـ
7. التحرير والتنوير محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس.
8. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت 327هـ) ط مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة 1419هـ.
9. تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت 774هـ ط مؤسسة قرطبة
10. تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، التفسير القيم لابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) ط: دار ومكتبة الهلال - بيروت
11. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب طدار الفكر العربي بالقاهرة.
12. التفسير الكبير للرازي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) طدار إحياء التراث بيروت ط 3-1420هـ

13. تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: 104هـ) ت. د. محمد عبد السلام أبو النيل ط: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ط 1، 1410هـ.
14. تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت 150هـ) ط دار إحياء التراث - بيروت ط 1، 1423هـ.
15. التوحيد والتنزيه في سورة مريم للأستاذ عبد الحميد طهماز. دار القلم دمشق سنة 1410هـ ط أولى.
16. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت 1376هـ ط مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 1420هـ.
17. جامع البيان في تأويل القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت 310هـ ط دار الريان للتراث، ودار الحديث بالقاهرة سنة 1407هـ.
18. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1987م
19. روح البيان للبروسوي إسماعيل حقي ت سنة 1370هـ ط دار الفكر بدون تاريخ
20. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسي شهاب الدين السيد محمود الألوسي ت 1270هـ ط دار إحياء التراث العربي ط 4 سنة 1405هـ
21. زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت 596هـ) ط المكتب الإسلامي بيروت ط 1 سنة 1385هـ سنة 1965م.
22. شرح العقيدة الطحاوية: للإمام الطحاوي، شرح/ علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي تحقيق/ شعيب الأرنؤوط ط دار البيان بدمشق، ط 1 سنة 1401هـ سنة 1981م
23. صحيح مسلم بشرح النووي (الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ت 261هـ) ط دار إحياء التراث العربي ط 3 بدون تاريخ
24. في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ت 1966م دار الشروق سنة 1407هـ - ط 13
25. كتاب الدعاء للإمام الطبراني ط دار البشائر الإسلامية - تحقيق د محمد سعيد بن محمد البخاري ط سنة 1407هـ سنة 1987م.

26. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري
المعتزلى ت528 هـ ط دار الريان للتراث سنة 1407 هـ ط ثلاثة
27. لطائف الإشارات للقسيري ط دار الكتاب العربي القاهرة
28. محاسن التأويل للإمام جمال الدين القاسمي ت1332 هـ ط دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ
29. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت546 هـ ط المجمع
العلمي بفاس المغرب سنة 1395 هـ ط طبعة دار الكتب العلمية بيروت
30. المختار من شرح البيهقوري على الجوهر المسمى تحفة المريدي على جوهر التوحيد للشيخ إبراهيم
البيهورى ص183 ط1401 هـ ط المعاهد الأزهرية سنة 1401 هـ سنة 1981 م
31. مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ت710 هـ ط دار الكتاب العربي
بيروت سنة 1402 هـ
32. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام فخر الدين الرازي ت606 هـ ط دار الفكر سنة 1405 هـ
33. المفردات في غريب القرآن للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرغب الأصفهاني ت502 هـ ط
دار المعرفة بيروت بدون تاريخ
34. الميزان في تفسير القرآن للأستاذ محمد حسين الطباطبائي ط مؤسسة الأعلمي بيروت ط سنة 1403 هـ
35. النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجوزي أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ت833 هـ ط دار الفكر
بدون تاريخ
36. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ط دار الكتاب الإسلامي
بالقاهرة ط2 سنة 1413 هـ
37. النكت والعيون (تفسير الماوردي) لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ت450 هـ ط
دار الصفوة بمصر سنة 1413 هـ ط أولى
38. الوابل الصيب من الكلم الطيب تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ط المطبعة السلفية
ط5 سنة 1400 هـ